قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه
الايات من فضايله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته
لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ باعلامه تعالى بما اقتضاه
له عدم من القضاة البين بظهوره عدم وغلبته على عدوه وعلو كلمته و
شريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد
غفران ما وقع وما لم يقع اى اتاك مغفورا لك وقال مكى جعل المنة سببا
للمغفرة وكل من عند لا اله غير منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال
ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من ذكتبر عليك وقيل بفتح مكة والطايف
وقيل برفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفرك فاعلمه بتمام نعمته عليه مع
بخضوع متكبرى عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحتمالها له ورفع ذكره و
هدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز و
منته على امته المؤمنين بالتسكينة والطمانينة التى جعلها فى قلوبهم و
بشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوه فى الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم
قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فحد محاسنه وخصايصه
من شهادته على امته للتبى عليه السلام فى هذه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم
بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلال لمن ليؤمن بالله ثم بدء من سبقت له من الله الحسنى
ويعزروه اى يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه
اى يعظمونه ويقرأه بعضهم ويعزنوه بزايين من العز والاكثرون الا على الاظهر
ان هذا فى حق محمد صلعم ثم قال وتسبحوه فيهذا راجع الى الله قال ابن
عطاء جمع للتبى عليه السلام فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو
من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة وهى من اعلام
الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة
قال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واتمم بحبابته عليه
السلام وشرح به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعراج
حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته
الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره تعالى
ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم
اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه
وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد

بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلعم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول فى باب
المجاز وهذا فى باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة هو الله تعالى و
هو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس فى قدرة البشر
توصيل قلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملوء عينيه و
كذلك مثل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل فى هذه الاية الاخرى انها على
المجاز لعرفت ومقابلة اللفظ ومناسبته اى ما قتلتموهم وما رميتم انت
اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالخوف اى
ان منفعة الرمى كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى وانت
بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى فى كتابه العزيز من كرامته عم عليه
تعالى ومكانته عند ربه تعالى وما خصه به عم من ذلك سوى ما انتظم فيما
ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى فى قصة الاسرا من سورة سبحان والنجم
وما انطوت عليه القصتة من عظيم منزلته عم وقربه ومشاهدته ما شاهد
من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس
وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله
وما رفع الله به عند فى هذه القصتة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلو
صهم بتحيانى مرة والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه فى الغار وما ظهر فى ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصتة
سراقة بن مالك حسب ما ذكرهم اهل الحديث والسير فى قصة الغار وحديث
الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر اعلمه عم الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر فى الجنة و
قيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل
المعرفة ثم اجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى ان شانئك
هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر الذليل الحقير والمفرد الوحيد
والذى لا خير فيه وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم
قيل السبع المثانى السور الطوال الاول والقرآن العظيم ام القرآن وقيل
السبع المثانى ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثانى ما فى
القرآن من امر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك
نباءا القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن مثانى لانها تثنى فى كل ركعة و
قيل بل الله استثناها لنبيه صلى الله عليه وسلم وادخرها له دون الانبياء
وسمى القرآن مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثانى اكرمناك بسبع
كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والتسكينة
وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس الاية وقال وما ارسلناك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)